Moutoune مجلة متون جامعة سعيدة
ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

تلقي مسرح تنسي وليامز في الخطاب النقدي العربي الـمُعاصر
-مُعالجة وصفية تحليلية

لكتاب: « تنسي وليامز: اتجاهات حديثة في المسرح العالمي»-

الإرسال: 2023/01/19 **النشر**: 2023/04/01

ملخص:

لم ينل مسرح تنسي وليامز قدراً كبيراً من الاهتمام في العالم العربي ، فعلى الرغم من المكانة المرموقة التي يحتلها على الصعيد العالمي، إلا أن الدارس يُلفي ندرة في الأبحاث العربية التي تطرقت إلى عوالم مسرحه، ويهدف هذا البحث إلى تقديم معالجة وصفية تحليلية لرؤى الناقد شاكر الحاج مخلف،الذي يعد أحد أبرز الدارسين العرب الذين اهتموا بالاتجاهات المعاصرة في المسرح العالمي، وركز جهوده على عوالم مسرح تنسي وليامز، ولاسيما من خلال دراسته القيمة الموسومة ب: « تنسي وليامز: اتجاهات حديثة في المسرح العالمي»،وهي أول محاولة تصدر في الوطن العربي لدراسة مسرحه، فقد جاءت لتسد فراغاً كبيراً عرفته المكتبة العربية لسنوات طويلة.

كلمات مفتاحية: مسرح؛ الخطاب؛ النقد ؛ اتجاهات؛ حديثة.

Abstract:

Tennessee Williams theater has not received a great deal of attention in the Arab world. Despite the prestigious position it occupies at the global level, the student encounters a dearth of Arab research that touched on the worlds of his theater. This research aims to provide a descriptive and analytical treatment of the visions of critic Shaker Al-Hajj. Mikhlif, who is considered one of the most prominent Arab scholars who have paid attention to contemporary trends in the global stage, and focused his efforts on the worlds of Tennessee and Williams theater, especially through his valuable study tagged with: "Tennessy Williams: Modern Trends in the World Stage", which is the first attempt to be published in the Arab world. To study his theatre, it came to fill a great void that the Arab library had known for many years.

Keywords : theater; the speech; criticism ; trends; Modern.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

مقدمة:

قليلة هي الدراسات والأبحاث التي عالجت بجدية وعمق قضايا النقد المسرحي العربي، فكثيراً ما تساءل المتابعون لحركة النقد المسرحي العربي عما إذا كان الشوط الذي قطعه، قد حقق الأهداف الحقيقية لوجوده..؟،وأين يمكن أن نضع هذا النقد على خارطة النقد العربي؟،وهل يمكن أن نقارنه بالنقد الروائي في الوطن العربي على سبيل المثال؟

ولعل أبرز الدراسات الجادة والمتميزة، التي قدمت مجموعة من الرؤى عن بدايات النقد المسرحي في الوطن العربي، ورصدت التطورات التي عرفها من مرحلة إلى أخرى، دراسة الناقد والباحث المغربي الدكتور حسن المنيعي الموسومة ب:«النقد المسرحي العربي-إطلالة على بدايته وتطوره-»،وهي الدراسة التي يسعى من خلالها-كما يذكر- إلى تقديم إطلالة على تطور النقد المسرحي العربي، مع الوقوف على خطاب تلقيه لمشروع تأصيل الحركة المسرحية العربية، والتنظير لها، ويُقدم فيه محاولة لتعريف القارئ بنماذج من النقد الغربي، وبموقف المسرح من نفسه(أي من داخل الممارسة)،كما يُقدم مقالة عن نص مسرحي لتوفيق الحكيم تمت قراءته من منظور(الدراما الغروتيسكية) للتأكيد على أن النقد العربي، والمغربي على السواء، قد خضع لفعل المثاقفة، الذي أنتج جملة من الكتابات العربية النقدية ذات النزوع الحداثي ،حيث إنها تستحضر الكثير من النظريات الغربية، وتقوم بمحاورتها بكامل الحرية، ودون أدنى شعور بالنقص، وهذا ما أدى-كما يرى الدكتور حسن المنيعي-إلى إثراء النقد العربي عموماً، وتطوير أدواته، والاحتفاء بكل عمل فني أصيل.

والمتابع لقضايا المثاقفة، والتلقي، يُلاحظ أن المسرح الأمريكي لم ينل قدراً كبيراً من الاهتمام في العالم العربي، ،فعلى الرغم من المكانة المرموقة التي يحتلها مسرح تنسي وليامز على سبيل المثال على الصعيد العالمي، إلا أن الدارس يلفي ندرة في الأبحاث، والدراسات التي تطرقت إلى عوالم مسرح.

ومن بين الجهود المثمرة، والجديرة بالاهتمام، والعناية ،والتركيز كتاب« تنسي وليامز: اتجاهات حديثة في المسرح العالمي» للباحث الدكتور شاكر الحاج مخلف، هو أول محاولة تصدر في الوطن العربي لدراسة مسرحه، فقد جاء ليسد فراغاً كبيراً عرفته المكتبة العربية لسنوات طويلة، إذ يسعى المؤلف إلى تقديم« دراسة مستفيضة عن مسرح وليامز، و تحليل معظم مسرحياته، بحيث يشكل هذا الكتاب مصدراً لدراسة نتاج الكاتب الذي اتخذ لمسرحه اتجاهاً مختلفاً وفتح نافذة جديدة للمسرح الأمريكي عالج من خلالها هموم الإنسان وفق نظريات العلم الحديث...» (مخلف، ش، 1997، 03) .

يذكر الدكتور شاكر الحاج مخلف في مقدمة الكتاب أن المسارح العالمية، وبعض المسارح الأكاديمية في الوطن العربي قدمت مسرحيات وليامز بعد وفاته سنة:1983م، كما كتبت بعض الصحف والمجلات عنه، وكانت تلك الكتابات تشكل النزر اليسير عن كاتب كبير أصبح من أشهر الكتّاب في المسرح الأمريكي المعاصر إلى جانب يوجين أونيل.

دراسة وصفية تحليلية لمضامين الكتاب:

1-تنسي وليامزوالاتجاهات الحديثة في المسرح العالمي

يبدأ المؤلف كتابه في الفصل الأول بالتأكيد على أنه على الرغم من التغيرات الكثيرة التي طرأت على الحياة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية، فإن أوفر مؤلفي المسرح الأمريكي بعد الحرب نصيباً هو تنسي وليامز الذي تمكن من إحراز أولى خطوات النجاح بمسرحيات كتبت في ظلال سنوات ما قبل الحرب، وقد صنفت مسرحياته في خانة روائع المسرح الأمريكي، كما أن وليامز يعد واحداً من الكتّاب الذين تحولت أعمالهم المسرحية إلى مدارس قائمة بذاتها في «فن الكتابة للمسرح، و لفهم التطور التاريخي لحركة المسرح الأمريكي،

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وتؤكد الدراسات والأبحاث بأن الدراما الأمريكية لم تصبح ذات موضوعات أمريكية خالصة إلا منذ أربعين عاماً، واستكملت أوج نضوجها في مسرحيات يوجين أونيل وروبرت شيرود وألمر رايس وسيدني هوارد وتنسي وليامز» (مخلف، ش، 1997، 05) .

و تطرق إلى مسيرة تنسي وليامز وعلاقته بالمسرح الأمريكي، فقد ولد سنة:1914م في كولمبوس بولاية ميسوري، ونشأ في أسرة فقيرة، حيث كان والده يعمل في محل بيع أحذية، و كانت أمه ابنة قسيس من الجنوب غرس في ذهن وليامز منذ صغره الكثير من القصص الشعبية والفلكلورية والدينية.

في سنة:1931م التحق بجامعة ميسوري، و بعد ثلاث سنوات تم فصله من الجامعة نظراً لعجزه عن تسديد مبالغ الدراسة،و هذا ما جعله يلتحق بوظيفة كتابية في محل بيع الأحذية الذي يشتغل فيه والده، وفي هذه المرحلة ازداد تعلقه بالمسرح، و لاسيما بعد أن شاهد مسرحية« الأشباح» لهنريك أبسن، وبعدها تأثر بنظرية فرويد وكتابات هـ.لورنس، كما تعلق كثيراً بعوالم فولكنر، حيث يتبدى الغموض والأجواء الشاعرية والرمزية.

وبعد هذه الفترة التي شغف فيها بالمسرح، بدأت تراوده فكرة الكتابة للمسرح، « على الرغم من الظروف الاقتصادية السيئة التي كانت تحاصره على الدوام، إذ يعمل في النهار ويكتب ويقرأ في الليل. و بعد اشتداد الأزمة الاقتصادية استغنت المصانع الصغيرة والكبيرة عن الأيدي العاملة، فانتشرت البطالة وكان ضمن العاطلين وليامز الذي بدأ رحلته مع شبح الفقر. كان يبحث بشكل دائم عن عمل يحصل من خلاله على رغيف الخبز له و لأسرته، فعمل بواباً في دار للسينما،و اجتهد ليكتب السيناريو السينمائي لشركة (مترو غولدين ماير) وبعد أن أتم السيناريو الأول الذي كان عبارة عن فكرة مبسطة لمسرحيته المشهورة (الحيوانات الزجاجية) واجهته الشركة بالرفض وامتنعت عن التعامل معه. و بعد ذلك الفشل القاسي عمل وليامز في مهن عديدة منها كاتب برقيات في دائرة البريد ونادلاً في مقهى ليلي ومنشد أغانٍ في تجمع للطبقة المترفة. كانت ذاكرة وليامز تسجل كل التفاصيل وتختزنها إلا أن ثمة انحرافاً خطيراً برز في حياته عندما صار يعاقر الخمر بنهم شديد ويتسكع في الشوارع العفنة حتى أصابه انهيار حاد ودخل مصح الأمراض العقلية. وبعد مغادرته المصح في عام:1936م التحق بجامعة أيوا، وهو يصف تلك المرحلة بأنها كانت صعبة للغاية، حيث كان تفكيره يتوزع بين استرجاع الذكريات ومحاولة تسجيلها في أعمال أدبية كالقصة أو المسرحية. وكانت البداية مع مسرحيات الفصل كما فعل يوجين أونيل في عام: 1939م عندما حصلت مسرحيته الأولى (معركة الملائكة) على جائزة مالية. اقترح أعضاء مؤسسة روكفلر الأدبية منح وليامز العضوية وحصل بعد ذلك على منحة علمية أتاحت له دراسة فن الكتابة للمسرح بشكل متميز. وفي مجال الدراسة تعرف على الناقد جون جاسنر وتيريزا هلبيرن وعرض عليهما بعض كتاباته. و أظهرا إعجابهما بمسودة مسرحيته الطويلة(معركة الملائكة)» (مخلف، ش، 1997، 10) .

ويشير المؤلف إلى أن حياة تنسي وليامز تنقسم إلى ثلاث محطات مهمة اتسمت بها تجربته:

1-المرحلة الأولى التي أصر على تسميتها مرحلة تجريب الأفكار الشعرية والغنائية بقوالب وصيغ مسرحية.

2-المرحلة الثانية التي ظهر فيها باحثاً ومتأثراً ومبدعاً في ميدان استلهام الموروثات الشعبية والأساطير والحكايات الخرافية، وقد برز في هذه المرحلة التأثير الديني، كما اتضح أنه متأثر بالميثولوجيا اليونانية، وبأفكار فرويد.

3-المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي سعى فيها تنسي وليامز إلى ابتكار صيغ وأفكار جديدة للمسرح من خلال قصص مألوفة ذات اتجاهات جديدة، حيث أكد على أن عذاب البشرية لا يمكن أن ينتهي إلا بتطوير تجارب الإنسان باتجاه خلق وضع اجتماعي جديد يلغي جميع أشكال التخلف والمعاناة. كما حاول تنسي وليامز في هذه المرحلة ربط توجهات الإنسان نحو السمو الديني بالوعظ الخفي والتأكيد على أن الخالق كفيل بحل المشاكل المستعصية، ووضع الحل النهائي لعذاب البشر.

كما يؤكد الدكتور شاكر الحاج مخلف على أن تأثير أيام الشقاء والتعاسة والمصير المجهول ظل مسيطراً على وليامز في أعماله سواء في المسرح أو القصة، و ظلت تلك الأفكار تتكرر وتتردد في حوار وليامز المسرحي، إضافة إلى أنه تبنى أفكاراً مقاربة لرؤى وأفكار د.هـ.لورنس، و يلفت الانتباه إلى أن أغلب مسرحيات وليامز التي كتبها في بداياته الأولى كانت تحتوي على مناظر كتبت بمهارة وحذق، حيث يجري الحوار بين الشخصيات بشكل دقيق مما يدل على وعيه الكبير بالبناء الدرامي، كما تضمنت تلك المسرحيات الكثير من الأساليب التي تميزت بالتحايل واصطناع بعض الحلول الجاهزة.

فالمؤلف يذهب إلى أنها وضعت تنسي وليامز (الحيوانات الزجاجية)، وفيما يتعلق بمسرحية

في « مقدمة الصف الأول من كتاب المسرح، وكانت المسرحية السابعة التي كتبها وليامز وصادفت النجاح على خشبة المسرح في شيكاغو في عام:1945م،وفازت بجائزة الدوائر الأدبية للدراما في نيويورك عام:1956م،وهي من مسرحيات الذاكرة ومكتوبة في سبعة مناظر تمثل السمات الأساسية لمسرح تنسي وليامز وتختلف عن مسرحياته السابقة. وعلى الرغم من وجود إيقاع هادئ ساد المسرحية فإنها تغرز الحاضر بسموم الماضي وتتداعى الذكريات كالأحلام الوردية أو كأعواد قاسية مغروسة في الذاكرة للبحث عن الحلم والحقيقة. ويرتكز الحدث في المسرحية على تفاعل يقوم بين الشخصيات الثلاث الرئيسة، إذ أن لكل منها مأساة ذاتية تقف متماسكة على أرضية الواقع السلبي المرير، كل شخصية تحاول الهروب من الأزمة إلى وضع يشبه أحلام اليقظة والتمسك بالصورة المثالية التي رسمتها كل شخصية من الشخصيات الثلاث لنفسها» (مخلف، ش، 1997، 15) .

ولقد تمكن تنسي وليامز بفضل ما لمسرحياته من كفاءة فذة في الأداء وبراعة في البناء من اجتذاب عدد من الفنانين البارعين في التمثيل، كما كانت علاقاته مع العاملين في المسرح تتسم بالقوة والمحبة، ومليئة بالتعاون، وهذا ما انعكس على سمعته كمؤلف وفنان فاكتسب لقب المؤلف المسرحي الشعبي، ومسرح تنسي وليامز ينفرد «بخصائصه وموضوعاته على العكس من الاتجاهات المسرحية التي أرسى قواعدها كتّاب من أمثال بيرا نديللو، برشت، جيرود، سارتر، إليوث، وأونيل،فهو يحاول من خلال مجموعة المسرحيات التي كتبها أن يعد للدراما في أمريكا شكلاً ومضموناً متقدماً على الأنموذج المسرحي الأوروبي، وهو بذلك يسعى باحثاً عن الطريق ومجرباً الأشكال التي توصله إلى قاعدة يتجاوز من خلالها اللفظ إلى قالب درامي يتحمل تناقض المستويات العقلية والمنطقية التي تؤدي بالنتيجة إلى تفسير علاقات الأشياء بالكون وترسم ملامح التجربة الإنسانية. وللوصول إلى أهدافه اختار في كتابة المسرحية لغة بسيطة يمكن لمختلف مستويات المشاهدين فهمها، وموضوعات مأخوذة من البيئة المادية والعاطفية لتجسد بصراع خفي جوانب من التداعي والانهيار الرهيب في كيان العادات والتقاليد والأفكار المحافظة»(مخلف، ش، 1997، 17) .

2-مسرحية الصيف والدخان

في الفصل الثاني من الكتاب تحدث المؤلف عن مسرحية «الصيف والدخان» التي قدمت عام:1947م، في مدينة دالاس، وسعى إلى مقارنتها مع باقي مسرحيات وليامز، وقد بنيت رؤيته لهذه المسرحية

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

على اعتبار أنها تمثل نموذجاً جديداً في عالم تنسي وليامز المسرحي، حيث يقول « مثلت مسرحية(الصيف والدخان)انتصاراً للشعر المسرحي الإيحائي على الواقعية المتوسطة التي تكتظ بها بصورة طبيعية سوق مهنة المسرح المتعبة في بردواي وحققت طريقة الإنتاج والإخراج الجيد الأهمية الكبيرة لمسرحية تنسي وليامز، و أضافت خيالاً أشبه بخيال(رامبراندت)، فإذا كان التأثير هو تأثير(فولكنر) ونزعته القوطية الجنوبية أكثر من تأثير(رامبراندت) فإن السبب في المسرحية نفسها، حيث المأزق الإقليمي القاتل والنزعة الشهوانية الفجة والشعور الذي لا حساسية فيه بالمصير، ذلك الشعور الذي يتخذه وليامز كموضوع له، وقد أثبتت مسرحية (الصيف والدخان) أنها مسرحية أفضل رغم أنها ذات طابع روائي».

وقد توقف المؤلف مع رموز مسرحية(الصيف والدخان) ،فالمسرحية تتوزع على أمكنة متنوعة بين نافورة في منتزه عام ومسكن يقطنه رجل يرعى الكنيسة ،ومكتب طبيب يضاف إلى ذلك وجود حديقة عامة، ومنذ انطلاقة المسرحية للوهلة الأولى يضع الكاتب النظارة أمام لوحة مرسومة بحس شاعري رقيق تتوافق تفاصيلها مع المضمون الذي ترمي إلى إيصاله، و قد وظف تنسي وليامز الشكل الرمزي بغرض تحديد مواقع الأحداث.

وضمن مشهد الاستهلال يتوضح استخدام الرمز في البناء الدرامي، إذ يعمد الكاتب إلى توقيت بداية الأحداث في المنتزه وبالقرب من النافورة الحجرية المصنوعة على شكل ملاك، ويتحدد الشكل الرمزي الثاني، والذي استخدمه وليامز بنجاح كبير-كما يرى المؤلف-في خريطة كبيرة موضوعة على مكتب الطبيب جون تمثل عملية التشريح للجسم البشري.

وقد عمد وليامز إلى تنبيه المشاهد إلى أنه سيكون وجهاً لوجه مع صراع جديد ينشأ بين الروح والجسد، وهذا الأمر يشكل امتداداً للنهج المسرحي الذي بدأه في مسرحيات سابقة.

وقد نبه الدكتور شاكر الحاج مخلف إلى أن من أهم «الملاحظات التي تسجل حول مسرحية (الصيف والدخان) هي رصد التغيير الكبير الذي يحدث في نهاية المسرحية حيث تتحول امرأة الجنوب المتدينة ذات السلالة العريقة كما يصفها وليامز إلى امرأة تبحث عن المتعة، بينما يتحول جون العابث المتهور إلى رجل يشعر بالاتزان، و يبتعد في حياته الجديدة عن العبث والتهور، إنه انقلاب كبير في حياة شخصيتين رئيستين في المسرحية كانتا تقفان على الضد»(مخلف، ش، 1997، 44) .

3-مسرحية قطة على سطح من الصفيح الساخن

خصص الدكتور شاكر الحاج مخلف الفصل الثالث من الكتاب للحديث عن مسرحية «قطة على سطح من الصفيح الساخن»، وهي المسرحية التي نالت جائزة بوليتزر، ورابطة النقاد المسرحيين عن موسم:1955م.

ويرى المؤلف أن هذه المسرحية إلى جانب اهتمامها بالتعرض لقضايا ومشاكل عديدة، لكنها تظل تمثل دراسة لتدهور (بريك بوليت) الشخصية الرئيسية في المسرحية، الذي تحاصره جملة من المشاكل والشدائد، ويلفي نفسه عاجزاً عن فهم ظروف المجتمع المحيطة به، ويفشل في التكيف معها، ولا يستطيع تحقيق أي قدر من التفاهم حتى مع المقربين منه.

وقد عرض المؤلف رؤية (ماريا ماتس) التي قدمتها عن المسرحية، فقد وصفتها بقولها « لقد توصل وليامز إلى صناعة التجارب الحقيقية، فالمسرحية مشحونة بالغيوم والعنف والمخلوقات البشرية فيها حية وتعاني أزمة، أرى ألا أصفها بالوضاعة فإن أزمات وليامز ليست وضيعة على الإطلاق، وإنما هي حاصل قريحة

خارقة وبالغة الغرابة، فيها من عناصر الفعالية والشاعرية ما يكفي لأن تفرض نفسها على جمهور واسع وتجعله يغيب في غيبوبة شاملة».

وهذا ما أكدته كذلك الناقدة (لينا فولك) حينما عقبت على قول (ماريا ماتس) حيث ذهبت إلى أن نتيجة هذا السحر المسرحي يمكن اعتبارها وسيلة من وسائل التوضيح أو الفرجة،و يمكن أن يطلق عليه لقب(الإرهاب العاطفي)،فهي طريقة من طرائق العلاج بالصدمات، وهي موهبة عظيمة وحساسية مرهفة إلى حد الإيلام، وتضيف الناقدة(لينا فولك)أن في «مقدمة المسرحية التي كتبها وليامز مفاتيح كبيرة تقود إلى فهم طبيعة مسرحياته وأفكارها ودوافع اختيار تلك الأفكار التي ترددت في مسرحياته المبكرة وتلك التي جاءت في فترات نضجه الأدبي والمسرحي .حيث يقول: (إنه لمن المؤسف بالطبع أن جانباً كبيراً من كل عمل خلاق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية صاحبه، وإنه لأمر مؤسف ومحرج وسخيف أن تلك العواطف التي تحرك الكاتب بعنف بحيث تدفعه إلى التعبير بقدر من الصفاء والقوة لها جذورها مهما تغير شكلها السطحي في تلك الاهتمامات الخاصة بالفنان والتي تبدو غريبة في بعض الأحيان عن تلك المشاعر وما يلازمها من الصور التي ينسجها كل منا حول نفسه من مولده إلى وفاته، وفي ذلك النسيج البالغ التعقيد، والذي تتشابك خيوطه في سرعة هائلة لا يمكن ملاحقتها...)».

ومن بين الملاحظات التي لاحظها الدكتور شاكر الحاج مخلف أن الكذب والنفاق مثلا نقطة الارتكاز التي تدور حولها شخصيات وليامز في مسرحية «قطة على سطح من الصفيح الساخن»، وقدم عدة أمثلة على ذلك من بينها شخصية الأب الذي ينتمي إلى طبقة الأغنياء الصغار ،وهو يشعر نحو عدد كبير من الأفراد بالكراهية الشديدة، بيد أنه لا يبديها نحوهم، كما يتضح هذا الأمر كذلك في ملامح ابنيه جوبر وبريك،حيث يمثل جوبر نموج العبث والجشع،ويمثل بريك فساد الطباع،وعدم التفكير في المستقبل.

4-مسرحية هبوط أورفيوس

افتتح المؤلف الفصل الرابع من الكتاب الذي خصصه لمسرحية «هبوط أورفيوس» بقول وليامز عن هذه المسرحية التي عرضت سنة:1959م «إنها تنقيح لمسرحية(معركة الملائكة)بعد خمسة عشر عاماً من الخبرة المسرحية، ولقد كانت في ظاهرها ولا تزال حكاية ولد متمرد يضرب في أرجاء مجتمع تسيطر عليه العقائد القديمة في الجنوب ونجحت بعد عشرين عاماً من الفشل... ».

وبالنسبة لمصدر أورفيوس يذكر المؤلف أن قاموس «الأساطير القديمة» يشير إلى أن أسطورة أورفيوس تتحدث عن ابن إحدى آلهة الفنون (كالوبي) والذي كان أبوه الاله (ابولو)، وقد كان أورفيوس من الأتباع المخلصين للآلهة (ديونسيوس) إله الخمر والطرب والذي عرف بمهارته في فن السحر والحكمة، ولكنه اشتهر بوجه خاص بسحر موسيقاه، التي كانت الحيوانات تطرب لها، وقد«أحب(ديونسيوس) يوديديسي وتزوجها ولكن حياتهما الزوجية كانت قصيرة المدى،حيث ماتت زوجته بلدغة ثعبان وهي تحاول الهرب من(ارستاوس) إله الصيد الذي كان يطاردها للإيقاع بها، و حينذاك يصمم أورفيوس على إعادتها للحياة، و يهبط بذلك إلى عالم الموتى، حيث يستطيع أن يسحر بموسيقاه العذبة كل الأشباح، ويستحوذ على قلب ملك العالم السفلي الذي يستجيب لرجائه، و يسمح لزوجته بالعودة إلى عالم الأحياء على شرط ألا ينظر أورفيوس إليها، و هي تسير خلفه إلى أن يصلا إلى وجه الأرض، غير أن أورفيوس لم يطق صبراً وأخذته اللهفة لرؤية محبوبته والاطمئنان إلى أنها تتبع خطاه عن كثب، فأخل بالشرط واستدار ليرمقها بنظره وما كاد يفعل ذلك حتى اختطفتها الأشباح ثانية، و أعادتها إلى عالم الموتى فحزن أورفيوس عليها حزناً شديداً، ولم يقبل عن فقدها عزاء وعزف عن الناس مفضلاً الوحدة وتجنب صحبة النساء وثارت بذلك عليه أحقاد نساء(ثرسيس)لتجاهله

وجودهن، و هجمن عليه في أحد الاحتفالات بديو نسيس وقطعنه ارباً، وعلى مر الزمن أصبحت قصة هبوط أورفيوس إلى العالم السفلي،عالم الموتى ترمز إلى فكرة معينة هي فكرة العاشق الذي يسعى إلى تخليص حبيبته من الموت والهلاك، فيذهب ضحية محاولاته بدلاً من أن يفوز كلاهما بالخلاص المنشود»(مخلف، ش، 1997، 83 وما بعدها) .

ولا ريب أن العديد من كتاب المسرح والأدباء قد تأثروا بهذه الأسطورة، و استوحوا أعمالهم من أفكارها، وعالجوا موضوعها بطرائق شتى، و من أشهر المسرحيات التي تناولت هذه الأسطورة مسرحية الكاتب الفرنسي جان كوكتو، والتي قدمت على خشبة المسرح سنة:1926م.

من بين الرؤى المعمقة التي قدمها الدكتور شاكر الحاج مخلف في هذا الفصل إشارته إلى أن مدرسة وليامز التي تمثل الدراما النفسية الجديدة تنبع من الخوف من المجتمع، ومن العالم، ومن الانهماك في الذات،ووفق منظور زيلكسي فمسرحية«هبوط أورفيوس»لم يكن الهدف منها صناعة مأساة،بل هي مجرد اختيار فقط،حيث يمكن تسميتها مليودراما،وهي تعبير عن رؤيا للوجود طال فيها التأمل،وصيغ حتى يوحي بتعبير مأساوي،وربما انعكست عيوبها كفن مأساوي في كلمات وليامز بالذات عن الحياة،ثمة رعب في الحياة،رعب في قلب بعض الناس،كما يؤكد زيلكسي على أن المسرحية لا تخلو من جمال وتشويق وصور تنم عن تفكير عميق في برودة الإنسان.

5-مسرحية الفصل الواحد في مسرح تنسي وليامز

تناول الدكتور شاكر الحاج مخلف في الفصل الخامس من الكتاب مجموعة من المسرحيات القصيرة التي كتبها تنسي وليامز بالدراسة والتحليل،و قد عبر عن رؤيته للمسرحيات القصيرة التي أبدعها وليامز في بداية هذا الفصل بقوله« المسرحيات القصيرة المبكرة التي أبدعها وليامز على منصة المسرح كانت إبداع رؤية شاعرية فذة للواقع،حيث تمكن من عرض جميع الأشكال والأصوات والألوان والأمزجة التي تتسم بها ذكرى بطل المسرحية للماضي وهو يصور رؤيته للواقع تصويراً رمزياً،وينتقل بعدها إلى خلق القالب الشاعري،ثم محاولة نسج أسطورة شعبية تستند إلى التجربة المشتركة، وهي مزيج من اللاهوت المسيحي وعلم الأساطير اليوناني وعلم النفس الفرويدي ،إضافة إلى تفاصيل مأخوذة من وقائع التاريخ الثقافي للجنوب الأمريكي حيث امتدادات الفلكلور المتعدد الجوانب،و الظاهر أن وليامز توصل إلى نظريته عن النموذج الشعبي الذي يستند إلى أصول الفلكلور الجنوبي في فترة المران التطبيقي كما حصل في مجموعة المسرحيات القصيرة(27عربة مليئة بالقطن والوداع الطويل)،وليس نجاح وليامز في تقديم الصور المسرحية في لغة شعبية نتيجة مجردة،بل نتيجة لتطور الفن المسرحي الأمريكي الجديد».

كما يشير إلى أن مسرحيات وليامز القصيرة تظهر موهبة كبيرة في خلق مجموعة مختلفة من الشخصيات المتباينة،و تتضح من خلالها قدرته على ربط الشخصيات وتحديد معالمها بدقة،وقد كشفت مسرحياته الأولى عن موهبة تستحق الاهتمام،وتبرر التأييد والتشجيع الحماسيين اللذين حظي بهما وليامز،فهو في هذه المسرحيات جرب موضوعات وتكتيكات استطاع تطبيقها فيما بعد في المسرحيات الطويلة التي أبدعها،وقد اتسمت مسرحياته القصيرة بلغتها الدرامية الجميلة ذات الصور المنسقة والتي تدفع بالفعل دائماً إلى الذروة، كما ظهرت من خلالها مهارته الفنية الكبيرة في رسم مناظر المسرحيات،و قد تميز أسلوبه في الكتابة بالاصطناع والتحايل.

6- العواطف الإنسانية والصراع بين المرأة والرجل في مسرح وليامز

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

رصد المؤلف في الفصلين الأخيرين من الكتاب جملة من الطقوس والعواطف الإنسانية التي تجلت من خلال مجموعة من مسرحيات وليامز وقدم شهادة أحد النقاد عن مسرح وليامز،و وصف تلك الشهادة بأنها من أجمل ما كُتب عن مسرحه،حيث جاء فيها: « بالرغم من أنه كان يلجأ كثيراً إلى الحيل المسرحية الحديثة،فهو يتلاعب كثيراً بالضوء، وفي مسرحياته الأخيرة حقق بعض الاقتراب من مسرح العبث، وهو يلجأ إلى الشاعرية في العبارة وإلى الرموز،مثلاً الاستعانة بالسحب والعواصف والرعد والبرق والمرض تماماً كما كان يحصل في مسرح القرن التاسع عشر كما يستخدم الإيحاء والإشارة الصريحة مثل المصابيح الفاضحة وتغطيتها بالورق في مسرحية عربة اسمها الرغبة واللعب الزجاجية في الحيوانات والماعز في وشم الوردة والسحلية في ليلة الأيجوانا وتمثال الشباب الأبدي في مسرحية صيف ودخان عربة الموتى والصدع في الحائط والكهف وتمثال المسيح في مسرحية التوافق.

ولعل القاسم المشترك في جميع شخصيات وليامز العزلة والغربة في عالم يعيشون فيه رغم رقتهم وضعفهم الشديد».

كما سلط الدكتور شاكر الحاج مخلف الضوء على الصراع بين الرجل والمرأة في مسرح وليامز،فتوقف مع مسرحية«وشم الوردة»التي تحتل موقعاً متميزاً في مسرح وليامز،ويمتد الصراع فيها بين عوالم الوهم والحقيقة،و تجسد مجموعة من الرؤى التي قدمها وليامز في تصوره لصراع المرأة مع الرجل.

خاتمة:

إن هذا الكتاب يمكن أن ندرجه ضمن واحد من الدراسات النقدية المسرحية العربية التي تكتسي أهمية كبيرة، والتي سلطت الضوء على عوالم مسرح تنسي وليامز، وحللت بعمق، وبمنهجية علمية دقيقة ،وسليمة مسرحياته العالمية التي أثرت في عدد غير قليل من شعوب المعمورة،وتزداد أهمية دراسة الدكتور شاكر الحاج مخلف،عندما نعرف أن مسرح تنسي وليامز لقي صدوداً،وإعراضا بين مختلف الدارسين ،والباحثين العرب،فلم ينل مسرحه قدراً كبيراً من الاهتمام في العالم العربي ،و ذلك على الرغم من المكانة المرموقة التي يحتلها على الصعيد العالمي،إلا أن الدارس يُلفي ندرة في الأبحاث، والدراسات التي تطرقت إلى عوالم مسرحه،فهذه الدراسة هي أول محاولة تصدر في الوطن العربي لدراسة مسرحه،وقد جاءت لتسد فراغاً كبيراً عرفته المكتبة العربية لسنوات طويلة،إذ يسعى المؤلف إلى تقديم« دراسة مستفيضة عن مسرح تنسي وليامز،ويرمي إلى تحليل معظم مسرحياته، بحيث يُشكل هذا الكتاب مصدراً لدراسة نتاج الكاتب الذي اتخذ لمسرحه اتجاهاً مختلفاً وفتح نافذة جديدة للمسرح الأمريكي عالج من خلالها هموم الإنسان وفق نظريات العلم الحديث...».

والجدير بالذكر أن الدكتور شاكر الحاج مخلف يذكر المصادر والمراجع عقب كل بحث بدقة، وتفصيل مفصل، وهو ما جعل الكتاب ذا قيمة علمية، وأكاديمية ، فهو صالح سواء لعامة القراء ،وكذلك للباحثين المتخصصين .

المصدر:

مخلف، شاكر الحاج،(1997م)، اتجاهات حديثة في المسرح العالمي، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.